مدرسة الإسكندرية

خطاب عام إلى أساقفة مصر وليبيا ضدّ الأريوسيين (١)

للقديس أثناسيوس الرسولي

القس لوقا يوسف رزق

إن لم تؤمنوا فلن تفهموا

العدد التاسع - ٢٠١١

مجلة مدرسة الإسكندرية

عدد ٩

"خطاب عام إلى أساقفة مصر وليبيا"
ضد الآريوسيين (١)

ترجمة: ريمون يوسف رزق

مدرسة الإسكندرية

''خطاب عام إلى أساقفة مصر وليبيا''
ضد الأريوسيين (١)
للقديس أثناسيوس الرسولي

ترجمة ريمون يوسف رزق
مترجم بالجمعية اليونانية بالقاهرة
Raymond_Y@alexandriaschool.org

مقدمة

(أ) تاريخ كتابة الخطاب

وهو لا يزال في صحراء ليبيا، كَتَبَ القديس أثناسيوس هذا الخطاب في مستهل سنة ٣٥٦م[١]، مخاطبًا الأساقفة الذين تحت رعايته في مصر وليبيا، وذلك بعد هروبه[٢] من مصر بسبب الاعتداء الذي أغاره سيريانوس على كنيسة الإسكندريّة. ولقد أشار البعض إلى أن هذا الخطاب قد كُتِب سنة ٣٦١م، استنادًا إلى ما جاء في الفصل ٢٢، إذ يتحدَّث ق. أثناسيوس عن الآريوسيّين ''بأنهم قد أُعلنوا هراطقة منذ ٣٦ عامًا وطُردوا خارج الكنيسة بناءً على قرار المجمع المسكوني''؛ أي سنة ٣٢٥م.

ومن جهة أخرى، أُثْبِت من الفصل السابع أنّ الخطاب قد كتبه ق. أثناسيوس بعد طرده من الإسكندريّه يوم ٣ فبراير ٣٥٦م، وقبل وصول جيورجيوس الأسقف الآرياني الجديد، يوم ٢٤ فبراير ٣٥٧م[٣]. ويذكر ق.

---

[1] N.P.N.F., IV, *Athanas.: Select Works and Letters*, Prolog., p. 522.

[٢] كتب ق. أثناسيوس عملاً يُدعى ''الدفاع عن الهروب'' في نهاية سنة ٣٥٧م، يتمسّك فيه بموقفه من الهروب بحسب أقوال الربّ وسلوكه وسلوك القديسين، ومعتبرًا أنّ الفرصة التي أتاحها الله له في هروبه من كنيسة ثيؤناس يوم أن دهمها سيريانوس بالجيش كانت تشابه نجاة بطرس من السجن أو نجاة بولس من أيدي اليهود. والدفاع كما يصفه كلّ علماء التاريخ واللاّهوت، يُعتبر نموذجًا لما يجب أن يسلكه أي إنسان مسيحي وقت الاضطهاد Locus Classicus. وتمتاز لغة الدفاع وأسلوبه بالسهولة والقوّة والأنفة، وقد أخذ به قدّيسون كثيرون (أغسطينوس في رسالة ٢٢٨ وكبريانوس رسالة ٢٠). انظر: الأب متى المسكين، *القديس أثناسيوس الرسولي (البابا العشرون)*، ط٢، دير القديس أنبا مقار، ٢٠٠٢م، ص. ٢٨٠. (المترجم)

[3] Βλ. ΠΑΝΑΓΙΩΤΗΣ Κ. ΧΡΗΣΤΟΥ, *Πατρολογία*, Δευτέρα έκδοση, τομ. Γ΄, (Εκδοτικός Οίκος ΚΥΡΟΜΑΝΟΣ, Θεσσαλονίκη: 2008), σελ. 504. (Μεταφραστής)

أثناسيوس في الخطاب تسلسل حوادث الآريوسيين وأعمالهم منذ ابتداء المنفى الثالث.

ويحضّ الأساقفة على الاحتراس مِنْ منشور دوري كانت الحكومة بصدد إصداره لتهديد الأساقفة بالنفي، إذا لم يوقّعوا على قانون الإيمان الجديد، وهو في الغالب قانون مجمع "سيرميوم"[٤] الذي صدر سنة ٣٥١م، ولم تكن له بعد الصياغة الآريوسيّة الزاعقة، ولكن كان يهدف إلى التملُّص من نقطة الامتحان في قانون نيقية كما يتضح من الفصل العاشر من الخطاب.

(ب) محتوى الخطاب[٥]

ولذلك، يبدأ ق. أثناسيوس الرسولي (من فصل ١-٤) بتحذيرٍ من جهة هذا الأمر أن ينتبهوا حتى لا يُغرَّر بهم بالكلام أو الشروحات (فصل ٥)، فيتمسّكوا بقانون نيقية ولا يتزحزحوا عنه لماحكات المخالفين (ف ٦-٨)، ولا يَقْبَلوا أية قوانين مختصرة أو يغترُّوا بتجديف الآريوسين الواضح (ف ٩-١١).

وفي الجزء الثاني من الخطاب يشير إلى العقيدة، فهو في فصل (١٢) يوضّح موقف الآريوسيين الأساسي من الإيمان، ويوضّحه في فصل (١٣) بأدلة من الكتاب المقدّس. ثم يتحدّى الآريوسيين في فصل (١٤) إن كانوا يستطيعون أن يقدّموا اعتقادًا واضحًا صريحًا عن "طبيعة **اللّوغوس**" ليمكن التوفيق بين اقتراحاتهم وفروضهم وبين الكتب المقدَّسة (ف ١٥-١٦)، ثم يشرح سفر الأمثال

---

[٤] كانت مدينة سيرميوم عريقة، وقد أقام فيها قسطنطين الثاني. تقع في بانونيا السفلى على نهر الساف، وتُدعى اليوم ميتروفيتشا. ولذلك كان يؤمُّها العديد من الأساقفة، لحل القضايا الكنسية مع الإمبراطور، وقد عُقدت فيها عدّة مجامع، أولها عام ٣٥١م، دعاها إليه الإمبراطور قسطنطين نفسه، وتعمَّد أن يكون أغلب الأساقفة شرقيين ومن الأوسابيين: وأهم من حضر باسيليوس الأنقيري، إفذوكسيوس أسقف مرعش (Germanicie) ومكدونيوس أسقف ميسوبسطا. وكان أسقف سيرميوم منذ سنة ٣٤٣م حتى ٣٤٤م هو فوتينوس، الذي عُدَّ من داعمي أثناسيوس ومركيلوس. فلما جاء قسطنطين إلى سيرميوم، شعر الآباء الشرقيون أن الجو مناسب لحل المسأله نهائيًا، فدعوا إلى مجمع. أصدر المجمع قانون إيمان مشابه للصيغة الرابعة لمجمع أنطاكية (٣٤١م)، ضد تعاليم فوتينوس غير الثالوثيّة، حاول فيه الآباء، إقامة تمييز واضح بين الأقانيم الإلهية دون استعمال هوموؤسيوس. يقترب هذا القانون من قانون الإيمان المستقيم. زاد على بند الابن جملة "لا فناء لملكه" التي استعملها مجمع أنطاكية (٣٤١م) ضد مركيلوس الأنقيري. انظر: الأب ميشال أبرص، الأب أنطوان عرب، *المجمع المسكوني الأول (نيقيا الأول ٣٢٥م)*، ط١، ١٩٩٧م، ص. ٢٦٤-٢٦٦. (المترجم)

[٥] الأب متى المسكين، *القديس أثناسيوس الرسولي*، ص. ٢٧٨-٢٧٩. (المترجم)

(أم ٨: ٢٢) في التجسُّد، ويتّهم الآريوسيين أنهم يشرحون هذه الحقيقة كالوثنيّين (ف ١٧)، كما يتّهمهم جميعًا وبالأخص آريوس بالنفاق ومداهنة الإمبراطور (ف١٨).

ثم يصف موت آريوس ويدفع بالقضيّة باعتبارها جريمة إنسان تمّ عليه قضاء الله (ف ١٩)، ويحضّ الأساقفة (ف ٢٠.٢١) على الثبات والاستعداد للاعتراف موبّخًا تذبذب الميليتيِّن[٦] (ف ٢٢) والآريوسيّين، ويشرح أخيرًا قناعته (ف ٢٣) أن الإمبراطور قسطنطينوس سوف يضع في النهاية حدًّا لهاتراتهم، حينما تَصِله المعلومات الصادقة عن حقيقة الأمر. وهذا الأمل ظلّ يداعب فكر أثناسيوس حتى يَئِسَ تمامًا من الإمبراطور[٧] بعد مُضي سنتين من كتابة هذا الخطاب[٨]. وجدير بالذكر أن هذا الخطاب وقد وضعه العلماء مؤخّرًا على رأس العظات الدفاعيّة التي كتبها ق. أثناسيوس ضد الآريوسيين، بل واعتبروه أولهم[٩].

---

[٦] الميليتيُّون هم شيعة متروبوليت ليكوبوليس (أسيوط) الأسقف ميليتيوس، وجملة عددهم ٣٥ أسقفًا. احتلوا مراكز حسَّاسة وخطيرة في القطر كله مع عدة مئات من الكهنة والرهبان "Apologia contra Ar. 71". ظلوا بعد مجمع نيقية محافظين في البداية على طاعتهم نوعًا ما على تقليد إيمانهم الأرثوذكسي، إلاَّ أنهم بدأوا شيئًا فشيئًا يتحللون من طاعتهم للكنيسة ومن التقليد الإيماني. وأخيرًا وقعوا في شرك الآريوسيين إذ انخدعوا بإغراءات يوسابيوس النيقوميدي، ونظَّموا صفوفًا ضد البابا أثناسيوس الرسولي، متحدين مع الآريوسيين في معاهدة ذات منافع مشتركة، خصوصًا بعد موت ميليتوس وقيام خلفه "يوحنَّا أركاف" سنة ٣٣٠م. وكان من أشد خصوم أثناسيوس عنفًا ودهاءً. وينبغي أن نلاحظ أن الميليتيِّن كحزب سياسي منشق ظل قائمًا بنشاطه في الكنيسة حتى القرن الخامس "Theodoret, E.H. I.9". ولقد حزن وبكي عليهم كثيرًا إبيفانيوس أسقف قبرص، وهو المؤرخ الوحيد الذي اعتنى جدًّا بسرد تاريخ انشقاقهم "Epiphanius, Haer. 68, 6". انظر: نفس المرجع السابق، ص. ٧٤-٧٥، وأيضًا: الأب ميشال أبرص، الأب أنطوان عرب، *المجمع المسكوني الأول (نيقيا الأول ٣٢٥)*، ص. ١٦٢ــ١٦٣. (المترجم)

[٧] جدير بالذكر أن الإمبراطور قسطنطين نفسه لم يستطع أن يحفظ حزمه ويحترم كلمته في ضبط الخارجين على قوانين المجمع الذي ظلَّ يفتخر به كل أيام حياته. ففي ظرف ثلاث سنوات كان قد بدأ يتذبذب هو نفسه بين الآريوسية والمسيحيَّة الحقَّة، وبدأ يسهِّل للآريوسيين استعادة كراسيهم وسلطانهم، مشدودًا بفكرة واحدة وهي وحدة الكنيسة وبالتالي وحدة الإمبراطورية وسلامتها، بالإضافة إلى شعور دفين بالحقد على البابا أثناسيوس بسبب بروز شخصيته. وكانت المصائب تُحاك والخطط والمؤمرات تُدبَّر في نيقوميديا عاصمة الإمبراطورية، لتظهر انفجارتها في مصر وأنطاكية وكل المناطق الأخرى التي أظهرت ولاءها لإيمان نيقية. (المترجم)

[8] Cf. *Apol. Pro Fuga* 26, note 7.

[9] *Historical Tracts of St. Athanasius Archbishop of Alexandria*, translated by Miles Atkinson, with Preface and notes by John Henry Newman, (Oxford: London, 1843), p. 125.

هذه الترجمة

تمّت ترجمة هذا الخطاب عن النصّ اليوناني الأصلي المنشور في مجموعة الآباء اليونان PG المُجلَّد رقم ٢٥ الأعمدة (٥٣٧ ـ ٥٩٣). وهذا النصّ بعينه منشور أيضًا في مجموعة "مكتبة الآباء الذين كتبوا باليونانيَّة ـ ΒΕΠ" المجلّد رقم ٣١، ص. ٢٢٠ ـ ٢٣٩، وفي مجموعة "آباء الكنيسة الذين كتبوا باليونانيَّة ΕΠΕ" المجلّد رقم ١٠، ص. ٢٠ ـ ٨٥. وللنصّ ترجمتان إنجليزيتان: الأولى منشورة تحت عنوان "الأعمال التاريخيّة للقديس أثناسيوس، رئيس أساقفة الإسكندريّة" في كتاب:

Historical Tracts of St. Athanasius Archbishop of Alexandria, translated by Miles Atkinson, with Preface and notes by John Henry Newman, (Oxford: London, 1843), pp. 125-153.

والثانية منشورة في سلسلة "كتابات آباء نيقية وآباء ما بعد نيقية ـ NPNF" المجموعة الثانيّة، المجلّد رقم ٤، ص. ٢٢٣ ـ ٢٣٥. ولقد نشر هذا الخطاب متزلر K. Metzler وآخرون سنة ١٩٩٦م، في المجموعة التي يديرها تتز M. Tetz والتي عنوانها: "أعمال أثناسيوس"[١٠].

K. Metzler - D.U. Hansen - K. Savvidis, *Epistula ad episcopos Aegyptti et Libyae*, apud M.Tetz, Athanasius Werke. I, I,1 (1996).

[١٠] أثناسيوس (راهب من الكنيسة القبطية)، *فهرس كتابات آباء كنيسة الإسكندرية (الكتابات اليونانية)*، ط١، يناير ٢٠٠٣م، ٢٠٨. (المترجم)

الفصل الأول

إن المسيح قد سبق وحذَّرنا من الأنبياء الكذبة[١١]

إنّ كلّ ما فعله وعلَّمه ربّنا يسوع المسيح، كما كتب لوقا الإنجيلي: «ما ابتدأ يسوع يفعله ويُعلِّم به» (أع١: ١)، قد صنعه لأجل خلاصنا بعدما ظَهَرَ [في الجسد][١٢]. لأنه أتى كما يقول يوحنَّا: «... لا ليَدين العالم، بل ليَخْلُص به العالم» (يو٣: ١٧). ومن بين كلّ ما صنعه، ينبغي علينا أن نتعجّب من صلاحه، إذ أنه لم يصمت [عن الحديث] عن أولئك المزمعين محاربتنا، بل صراحةً، سبق وأخبرنا ـ عندما ستحدث هذه الأمور ـ أن نصير في الحال مُصانين بتعاليمه ومتمسّكين بها. لأنّه قال: «لأنه سيقوم مُسحاء كذبة وأنبياء كذبة ويُعطون آيات عظيمة وعجائب، حتى يُضلّوا لو أمكن المختارين أيضًا. ها أنا قد سبقت وأخبرتكم» (مت٢٤: ٢٤ ـ ٢٥).

إنّ التعاليم والمواهب التي أودعها فينا [الربُّ] لهي كثيرة وتسمو على الفكر البشري؛ مثل: رَسم [مثال] المواطنة السمائيّة، القدرة [على المحاربة] ضدّ الشياطين، تبنِّي الأبناء υἱοποίησις، النعمة الفريدة والفائقة لكلّ عظمة، معرفة الآب و**اللّوغوس** ذاته وأيضًا عطيّة الروح القدس. ولكن، مالَ عقل الإنسان إلى الشرّ بطريقة مفرطة، فضلاً عن أنّ الشيطان عدونا لمَّا كان يحسدنا على تلك العطايا العظيمة، شرع طالبًا أن يغتصب بذور **اللّوغوس** التي زُرعت فينا. من أجل ذلك، كما لو كان بتحذيراته النبويّة يختم تعاليمه في قلوبنا ككنزه الخاص، قال الربُّ: «انظروا! لا تضلّوا. فإنّ كثيرين سيأتون باسمي قائلين: إني أنا هو! والزمان قد قَرُب! فلا تذهبوا وراءهم» (لو٢١: ٨).

عظيمة هي الموهبة التي أغدقها **اللّوغوس** علينا، حتى لا ننخدع بالمظاهر الخارجيّة، بل بالحري أن نُميِّزها بموهبة الروح القدس مهما كانت مُحتجَبة. ولمَّا

---

[١١] تقسيم الفصول وعنونتها مأخوذ عن النص اليوناني والنص الإنجليزي. (المترجم)

[١٢] ما بين القوسين المربَّعين [ ] أُضيف على النص الأصلي لإيضاح المعنى. (المترجم)

كان مخترع الشرّ وروح الشرّ العظيم، أي الشيطان، بغيضًا بالكليّة، وعندما أظهر ذاته رُفِضَ من الكلّ ـ كأفعَى، كتنين وكأسد يطلب من يختطفه ويبتعله ـ أخفَى حقيقة أمره وستَرها، وبخداعٍ ومهارةٍ انتحل ذاك الاسم الذي يشتهيه الجميع حتى، عندما يُضلِّل [البشر] بهذا المظهر الخدَّاع، يُقيِّد في سلسلته أولئك الذين أغواهم.

وكما لو أراد ثمّة شخصٌ أن يختطف أطفال غيره في غياب والديهم، عليه أن ينتحل مظهرهم وشخصيّتهم وهكذا يخدعهم ويقتادهم بعيدًا ثم يهلكهم. بطريقة مثل هذه، عندما رأى الروح الشرير والشيطان الظالم، الذي لا يثق في ذاته، محبّة البشر للحقّ، تظاهر بهذه المحبّة ونشر سِمَّه في أتباعه.

الفصل الثاني

عندما ادَّعى الشيطان القداسة، فُضِح أمره

وهكذا، أغوى حواء غير متكلّم بكلامه الخاص بل متّخذًا كلام الربِّ ومُحرّفًا معناه. وأيضًا، عندما حرَّض امرأة أيوب على الشرّ، مُقنعًا إياها أن تتظاهر بالتعاطف مع زوجها، علَّمها أن تُجدِّف على الله. بهذه الطريقة، يهزأ المضلِّل بالبشر بواسطة مظهره الغاش، خادعًا كل إنسان وجاذبًا إياه نحو حفرة شرّه. منذ القدم، عندما خَدَعَ [إبليس] آدمَ؛ الإنسان الأول، وفكّرَ في نفسه أنه يتحتّم على جميع البشر الخضوع له، انتفخ وتعجرف قائلاً: «فأصابت يدي ثروة الشعوب كعُشٍّ، وكما يُجمَع بيض مهجور، جمعت أنا كلّ الأرض، ولم يكن مُرَفرِفُ جناحٍ ولا فاتحُ فمٍ ولا مُصفصِف[١٣]» (إش١٠: ١٤).

ولكن، عندما أتَى الربُّ على الأرض[١٤]، وامتحن الأعداء تدبيره البشري غير قادرين على خداع الجسد الذي لبسه، حينئذٍ، ذاك ـ الذي وعد بأن يربح

---

[١٣] أي مُزقزق. (المترجم)

[١٤] المعنى الحرفي للفعل ἐπιδημέω هو: أتغرَّب ــ أستوطن ــ أقيم مؤقتًا في. (المترجم)

المسكونة بأسرها ـ هُزِئَ به الفتيان: المتفاخر هُزِأَ به كالعصفور[١٥]. والآن فإنّ الصبي الصغير يضع يده على جحر الحيَّة ويضحك على الذي أغوى حواء، وجميع الذين يؤمنون بالربِّ باستقامةٍ يطأون بأرجلهم ذاك الذي قال: «أصعد إلى السماوات. أرفع كرسيّ فوق كواكب الله، وأجلس على جبل الاجتماع في أقاصي الشمال. أصعد فوق مرتفعات السحاب. أصير مثل العليِّ» (إش١٤: ١٣،١٤). وهكذا تألَّم وأُخزي.

ورغم أنه مازال يتجرَّأ بثقة وقحة على أن يتّخذ لنفسه هيئة كاذبة، إلاَّ أن الروح التعسة تُعْرَف بالحري بواسطة أولئك الذين يَحْمِلون سِمةً على جباههم[١٦]. والأكثر من ذلك، إنّه رجع ذليلاً ومُهانًا. لأنه لو كان ـ مَنْ هو حيَّة زاحفة ـ يستطيع أن يتشكَّل على هيئة ملاك نور، إلاَّ أن حيلته لن تفيده بشيءٍ؛ لأننا قد تعلّمنا هذا: إن بشَّرنا ملاكٌ مِنْ السماء بغير ما تسلّمنا، فليكن أناثيما[١٧].

الفصل الثالث

فلنقتن روح الإفراز

مرّة أخرى أقول، على الرغم من أنه يُخفي كذبه الفطري، ويتظاهر بأنه ينطق الحقّ بشفتيه، إلاَّ إنّنا لا نجهل أفكاره[١٨]، وقادرون على مجاوبته بالكلام الذي شهد به الروح القدس ضدّه: «وللشرير قال الله: ما لك تُحدِّث بفرائضي وتحمل عهدي على فمك؟» (مز٥٠: ١٦)، وفي موضعٍ آخر يقول: «التسبيح ليس مُسرٌّ في فم الخاطِئ» (جا١٥: ٩)[١٩]. لأنه حتى لو نطق المحتال بالحقّ، إلاَّ إنه غير جديرٍ بالثقة. وهذا ما أوضحه الكتاب المُقدَّس عندما قصَّ مكيدته وخبثه ضدّ حواء في الفردوس، ولهذا وبّخه الربُّ وانتهره.

---

[١٥] انظر أي٤٠: ٢٤ (سبعينية)

[١٦] انظر حز٩: ٤.

[١٧] انظر غل١: ٨.

[١٨] انظر ٢كو٢: ١١.

[١٩] هذه الآية موجودة في الترجمة السبعينية فقط. (المترجم)

المرّة الأولى كانت على الجبل، عندما فَتَحَ [الربُّ] فمّه[٢٠]، وأظهر مَنْ هو المُضلِّل، وأثْبَت أنه لم يكن واحدًا من القدّيسين بل الشيطان هو الذي كان يُجرّبه؛ لأنّه قال: «اذهب يا شيطان! لأنه مكتوب: للربِّ إلهك تسجد وإياه وحده تعبد» (مت١٠: ٤). والمرّة الأخرى، عندما لَجَّمَ أفواه الشياطين التي كان تصرخ من القبور؛ ورغم أنّهم كانوا يقولون الحقيقة ولم يكذبوا البتّة: «ما لنا ولك يا يسوع ابن الله» (مت٨: ٢٩؛ مر١٠: ٢٤)، إلاَّ إنّه ما كان ممكنًا أن تخرج الحقيقة من فمٍ نجس وخاصة من أمثال أولئك، خشية أن يمزجوا حيلهم الخبيثة بالحقيقة ويزرعونها بينما البشرُ نيام.

ولهذا السبب لم يجعلهم الربُّ يتألّمون لكي يقولوا تلك الكلمات، ولا كان ليتركنا لنتألّم بمقدار مثل هذا، بل أنذرنا قائلاً: «احترزوا مِنْ الأنبياء الكذبة الذين يأتونكم بثياب الحملان، ولكنّهم من داخل ذئاب خاطفة!» (مت٧: ١٥)؛ وقال على لسان رُسُله القدّيسين: «لا تُصدّقوا كلّ رُوحٍ» (أيو٤: ١). مثل هذا الأمر هو الأسلوب الذي ينتهجه عدوّنا، ومن طبيعةٍ كهذه تكون كلّ الهرطقات، والتي أباها هو الشرّ، والذي تحوَّل وبات قاتلاً للبشر وكذَّابًا منذ البدء.

ولكونهم خجلوا أن يعلنوا اسمه البغيض، فهم يدَّعون الاسم الحلو الذي لمخلِّصنا والذي يسمو فوق كلّ اسمٍ[٢١]، ويكسون أنفسهم بكلمات الأسفار المُقدَّسة. حقًّا إنّهم يتكلَّمون بكلماتٍ [من الكتاب المُقدَّس]، ولكنّهم ينزعون عنها معناها الحقيقي. وعلى هذا النحو وببراعةٍ فائقةٍ، هم يخفون أفكارهم الزائفة وصاروا أيضًا قتلة لأولئك الذين أَغْوَوْهُم.

---

[٢٠] انظر أي٤١: ١٤.

[٢١] انظر في٢: ٩.

الفصل الرابع

ليس من الفائدة أن نَقبل جزءًا من الكتاب المقدَّس ونرفض آخر

فمن أين يستلم "مارقيون"[٢٢] و"المانيّون"[٢٣] الإنجيل إن كانوا يرفضون قبول الناموس؟ فإنّ العهد الجديد قد انبثق من العهد القديم ويشهد له! فإن كانوا يرفضون هذا [العهد القديم]، فكيف يستلمون ذاك [العهد الجديد] الذي هو أصلاً منه؟ وهكذا، كان بولس رسول الإنجيل الذي «سبق فوَعَدَ به أنبيائه في الكتب المقدَّسة» (رو١: ٢)، وربّنا نفسه يقول: «فتّشوا الكُتب لأنكم تظنون أن لكم فيها حياةً أبديّةً. وهي التي تشهد لي» (يو٥: ٣٩). فكيف، إذًا، سيعترفون بالربِّ إن لم يفحصوا الأسفار القديمة أولاً التي كُتِبَت عنه؟

ونحن نسمع من فيلبُّس؛ أحد التلاميذ، وهو يبشّر نثنائيل قائلاً: «وجدنا الذي كَتَبَ عنه موسى في الناموس والأنبياء، يسوع ابن يوسف، الذي من النّاصرة» (يو١: ٤٥). وما هو الناموس بالنسبة للصدّوقيّين ما لم يَقْبلوا الأنبياء؟ لأن الربَّ الذي أعطى الناموس هو نفسه الذي وَعَدَ في الناموس أنه سوف يقيم أنبياءَ أيضًا ليكون الربُّ هو نفسه ربَّ الناموس والأنبياء، فالذي ينكر الواحد ينكر الآخر أيضًا.

---

[٢٢] وُلِدَ مارقيون في أواخر القرن الأول الميلادي في سينوب بالبنطس وكان ابنًا لأسقف هذه المدينة. تتسم تعاليمه بالمزج الكامل وبوضوح بين الأفكار المسيحية والأفكار الوثنية، وهو مما تتصف به الغنوسية. كان ينادي بالثنائية، ويزدري بل ويأنف من إله اليهود ويرفض العهد القديم. وقد عمل حدًّا فاصلاً بين الإله الصالح الذي يعيش في السماء الثالثة والإله العادل الذي هو أقل منه منزلةً. كان يعلِّم بأن المسيح ليس المسيَّا المذكور عنه في العهد القديم، ولكنه إله الحب، غير المعروف، الذي جاء ليخلِّصنا منْ إله الغضب. لم يُولد منْ العذراء مريم إذ أنه ليس له ولادة ولا نمو. أظهر نفسه فجأة وعمره ١٥ سنة في مجمع كفر ناحوم. بسفك دمه فدى كل النفوس. كل تعاليمه هي نتيجة للتفسير الحرفي للعهد القديم. فهو لم يستطع أن يفسر الآيات التي تتحدث عن غضب الله، أو وجه الله ويد الله... الخ. هكذا يتضح لنا ما في هذه العقائد منْ التضارب ونقص المنطق. انظر: تادرس يعقوب ملطي (القمص)، *نظرة شاملة لعلم الباترولوجي في الستة قرون الأولى*، ط١، (كنيسة مار جرجس – سبورتنج: الإسكندرية، ٢٠٠٨م)، ٣٢٣-٣٢٤. (المترجم)

[٢٣] وُلد مانيخايوس أو ماني نحو ٢١٥م في بابل جنوب ما بين النهرين. ادَّعى أنه البارقليط الذي وعد به المسيح، واتخذ له ١٢ تلميذًا على مثال الرسل وكان هو على رأسهم مثل السيد المسيح، وعيَّن ٧٢ أسقفًا وعددًا منْ القسوس والشمامسة وإرساليات مرتحلة طاف بهم منْ مكان إلى مكان ناشرًا مذهبه الجديد. وظل هذا النظام حتى القرن ١٣. علَّم المانويون بعنصرين أبديين وغير متغيِّرين وهما الخير والشر وقدموا هذا كتفسير لكل الأسرار الطبيعية وفوق الطبيعية. رفضوا العهد القديم كله كعمل العنصر الشرير. اعتبروا التجسد كله خيالاً Docetic. انظر: نفس المرجع السابق، ص ٣٣٥. (المترجم)

وما هو العهد القديم بالنسبة لليهود، ما لم يعترفوا بمجيء الربّ الذي تنبّأ به العهد القديم؟ لأنّه إن كانوا قد صدَّقوا أسفار موسَى، لكانوا صدَّقوا كلام الربِّ الذي قال: «لأنه هو كتب عني» (يو٥: ٤٦).

وأيضًا، ماذا تعني الأسفار المقدَّسة بالنسبة لبولس الساموساطي[٢٤]، الذي يُنْكِر كلمة الربِّ وظهوره في الجسد الذي أُشير إليه وأُعْلِن في كلٍّ من العهديْن؟ ماذا تعني الأسفار المقدَّسة بالنسبة للآريوسيين، الذين يقولون إن كلمة الله لهو مُجرَّد مخلوق و«عبدوا المخلوق دون الخالق» (رو١: ٢٥) مثل الأمم[٢٥].

وهكذا، لا تشترك كلّ هذه الهرطقات ـ فيما يتعلّق بغايتها الشريرة ـ في شيءٍ مع الأسفار المقدَّسة، وكل مَنْ يتبعها يَعْلم جيّدًا أن الأسفار المقدَّسة تتعارض مع تعاليم تلك الهرطقات. ولكي يخدعوا البسطاء {كمثل الذين كُتِب عنهم في سفر الأمثال: «الساذج يُصدِّق كلّ كلمة» (أم١٤: ١٥)} يتظاهرون ـ

---

[٢٤] وُلِد في مدينة ساموساطا ولاية كوماجنيس السوريَّة، نحو سنة ٢٠٠م ودرس فيها. أصبح أسقفًا لأنطاكية عام ٢٦٠م عن طريق المكر والدهاء. أحدث بدعة فاسدة، عن طريقها تقرَّب إلى زينوبيا ملكة تدمر المشهورة وكانت تميل إلى اليهودية وتحبذها. كان ذلك التعليم الفاسد الذي قدمه لزينوبيا سهلاً عليها قبوله فأقامته واليًا على أنطاكية مانحة إياه لقب نائب الملكة. تاه بنفسه وتكبَّر وسمح لأصحابه أن يمدحوه بما يُنشَد في الكنيسة عند تسبيح السيد المسيح. وأطلق لسانه في ذم آباء الكنيسة الأولين. رفض أن يعترف بالثلاثة أقانيم في الله، ولكن طبقًا لليونتيوس (*Desectis*3,3) فقد أعطى فقط لفظة الآب لله الذي خلق كل شيء، أما الابن بالنسبة له فهو كلمة الله وهو ليس أقنومًا بل هو في العقل الإلهي كالفهم في العقل البشري. أما المسيح فكان فقط إنسانًا محضًا وُلد مِنْ مريم بواسطة الروح القدس، فَحلَّت فيه الحكمة الإلهية حتى تمكَّن مِنْ صنع العجائب. وهكذا تبرر وتألَّه بنعمة الله وبأعماله. ولما جاء إلى الصلب فارقته الحكمة. أما الروح القدس بالنسبة لبولس فكان هو النعمة التي حلَّت على الرسل. تبنى بولس الساموساطي بدعة المونارخية، لكنه طوَّر فيها ودعا مذهبه المونارخية الدينامية: التي تدَّعي أن الابن هو قوة الآب، ولكن دون أن تكون له شخصية خاصة، فيكون بذلك قد أنكر ألوهية المسيح متأثرًا على ما يبدوا بفلسفة لونجينوس الأفلاطونية الحديثة. وأفكاره في التجسد تُـذَكِّرنا بنظرية التبني *Adoptionism* التي تقول بأن المسيح وُلد ونما مثل سائر البشر ثم جعله الله ابنًا له (تبناه) نظرًا لتقواه وأعماله، وأنه ليس ابن الله المساوي له في الجوهر والربوبية. الذي كشف خداعه كان هو القس مالكيون رئيس مدرسة أنطاكية اليونانية. انعقدت في أنطاكية ثلاثة مجامع مقدَّسة بين عاميّ ٢٦٤ و٢٦٨م لمناقشة هرطقته. أول مجمعين لم يُسفرا عن نتائج، أما المجمع الثالث في ٢٦٨م فقد أعلن أنه هرطوقي وعَزَله. انظر: *نفس المرجع السابق*، ص. ١٢٥–١٢٦، سويريوس يعقوب توما (مار إغناطيوس يعقوب الثالث بطريرك أنطاكية للسريان الأرثوذكس فيما بعد)، *تاريخ الكنيسة السريانية الأنطاكية*، ١٩٥٣م. جزء أول، صـ ١٤٥، وأيضًا: الأب ميشال أبرص، الأب أنطوان عرب، *المجمع المسكوني الأول*، ص. ٩٥ــ٩٩. (المترجم)

Cf. J Quasten, *Patrology*, vol. 2., p. 141.

[٢٥] المعنى الحرفي للكلمة هي يونانيون. (المترجم)

على شاكلة إبليس أبيهم ـ بدراسة الأسفار المقدَّسة والتكلُّم بها حتى يظهروا في حديثهم أن لهم معتقدًا صحيحًا؛ وبهذا يُقْنِعون أتباعهم التعساء بالتفكير فيما يخالف الكتاب المقدَّس.

يقينًا، قد تنكَّر إبليس في كلّ تلك الهرطقات، وأوحى لأتباعه كلامًا مليئًا بالخداع. ولقد تحدَّث الربُّ عنهم قائلاً: «سيقوم مُسحاء كذبة وأنبياء كذبة ويُعطون آيات عظيمة وعجائب، حتى يُضلّوا لو أمكن المختارين أيضًا. ها أنا قد سبقت وأخبرتكم» (مت٢٤: ٢٤ ـ ٢٥). وعلى ذلك، أتَى الشيطان متحدّثًا عن طريق كلّ هرطقة هكذا: "أنا هو المسيح والحق معي"، وصيَّرهم [أي أتباعه] جميعًا كذبه مثله. ومن الغريب أنّه بالرغم من اختلاف كلّ الهرطقات الواحدة عن الأخرى في شرِّها، إلاَّ أنها تشترك جميعًا في هدفٍ واحدٍ وهو الكذب؛ إذ لها [أي الهرطقات] أبٌ واحدٌ وهو الذي زَرَعَ فيها كلّها بذور الكذب.

ولذلك، فإنّ [المسيحي] المؤمن وتلميذ الإنجيل، بعد أن نال نعمة تمييز الأمور الروحيَّة، وبنَى بيت إيمانه على الصخر، يقف وطيدًا وغير متزعزعٍ أمام خداع تلك الهرطقات على الدوام. ولكن، الإنسان البسيط ـ كما قلت من قبل ـ غير المؤسَّس بقوّة على المعرفة، والذي ينظر فقط إلى ما قيل ولا يُدرك معناه، مثل هذا الإنسان ينجذب إلى مكيدتهم في الحال. ولهذا السبب، إنه من الصالح والضروري أن نُصلِّي كي ننال نعمة إفراز الأمور الروحيَّة، حتى يعرف كلّ إنسانٍ ـ بحسب وصية يوحنَّا الإنجيلي ـ مَنْ يرفضه ومَنْ يقبله كأصدقاءٍ، ومن الإيمان ذاته.

والآن، يمكنني كتابة الكثير بخصوص هذه الأمور، إن أراد أحد الولوج في تفاصيل أكثر عن تلك الهرطقات. لأنّ عدم تقوى الهرطقات وشرّها سوف يظهر أنه كثيرٌ ومتنوِّعٌ، وأن مَكْرَ الخادعين لهو مخيف جدًّا. وبما أن الأسفار

المقدَّسة لهي كافية جدًّا لنا، لذلك فبالنسبة للذين لهم رغبة أن يعرفوا أكثر فيما يختص بهذه الأمور، أنصحهم وأزكّي لهم أن يقرأوا كلمة الله[٢٦].

يُتْبَع

[٢٦] وعلى هذا النمط تجري جميع كتابات أثناسيوس مزدحمة بالآيات منْ العهد القديم والعهد الجديد، إمَّا بنصها الكتابي المحدَّد أو بروحها دون الالتزام بالحرف، بحيث لا يمكن أن يخلو سطر منْ سند كتابي. وللمزيد عن استخدام ق. أثناسيوس للكتاب المقدَّس، انظر:

Cf. JAMES D. ERNEST, *The Bible in Athanasius of Alexandria*, (Brill Academic Publisher, Boston: 2004).